

# ألبرتو مورافيا لم يكن بحاجة إلى جائزة نوبل للأدب

## أهم كتاب القرن العشرين عارض الفاشية وناصر قضايا المهمشين



كاتب خلد اسمه بعد أكثر من نصف قرن من العطاء

سباتي ولكن ذلك لا يهمني". بهذه الرؤية واجه مورافيا سنوات المرض، والحملات القاسية على إبداعه الروائي، والتي تضمنت اكتشاف النبضات الجنسية لدى المراهق، ورسم الانهيار البرجوازي، برودة المشاعر، ونقص الطاقة الحركية.

عاش مورافيا حياة مديدة وحتى وفاته في 26 سبتمبر 1990 عن عمر يناهز الثانية والثمانين، وقد قال لزوجه دانيا مارني "إن الماضي يشبه الفخم، عندما يشتعل لا يتبقى منه سوى الشوائب أي بعض قطع من مادة سوداء خفيفة جدا، إننا ندفي أنفسنا بواسطة ثم ينتهي كل شيء".

كان مورافيا يؤمن بأن الزمن لا وجود له والشخصية لا وجود لها، ولم يقبل الأحكام الأخلاقية، وسلطة المؤسسات التي كان دائم التشاجر معها، ولا يبالي بسوء الفهم الذي يثيره تفرد، ليؤكد أنه لم يعرف سوى صوت واحد هو صوت تغريد الطيور.

والاشخاص". ورغم اهتمامات مورافيا السياسية، وعضويته لبرلمان أوروبا الموحد، إلا أنه أخلص لفننه، ورفض فكرة "التطوع" بالكتابة، ليكون محترفا بكل المقاييس، إذ يقول "أعرف أن التطوع لا يمكن أن ينتج إلا أدبا رديئا. ولكن بالنسبة إلي، فأني اعتبر الكاتب مواطنا مثل الآخرين، ويجب أن يدافع مثل الآخرين عن حريته وحرية الشعب الذي ولد في وسطه، إذا اقتضت الضرورة، وبالسلاح إذا لزم الأمر".

وقد عمل مورافيا في تحرير جريدة المساء، وهي أكثر الصحف اليومية انتشارا في إيطاليا، كما نشر مجموعة من الرسائل والقصص القصيرة وأخبار الأسفار، وكانت إصداراته أكثر غزارة، عقب الحرب العالمية الثانية، خاصة في ما بين عامي 1947 و1951، حيث نشر رواياته "امرأة من روما" و"التمرد" و"التوافق".

يقول مورافيا "إننا مثل الزهور نولد ونموت وينتهي كل شيء، فالوقت

يقول مورافيا "إنني لا أحب أبدا رواياتي حقيقة، وذلك لأنه على الرغم من أنني أعتني بها أيما الاعتناء فإنها تبدو لي أقل مما كنت أريد".

### التقاط التفاصيل

لا يتوقف البحث والتحليل لشخصية مورافيا، والذي كان وثقا من موهبته، الكامنة في التقاط التفاصيل التي تعتمل داخل المجتمع الإيطالي، وتغيراته

وتطوراته، في علمه الروحي والأخلاقي وأماله ويقول عنه صديقه المخرج بازوليني "كل ما هو ملموس لدى مورافيا هو شيء واقعي مثل الأشياء والمواد والمناظر الطبيعية

الخاص في نزع الإقنعة وكشف المستور عن واقع مرتبك، يحوله إلى كائن رافض وغير متوائم مع مجرياته، ليتولد الشك والانفجار الموقوت بكتابة جديدة، وقد عدوه من الكتاب المحترفين أكثر مما هو مثقف هام، وقد أبد كثيرين وجهة نظر الأديب الفرنسي أندريه مالرو عندما قال إنه كان على مورافيا أن يتوقف عن الكتابة بعد كتابة روايته "المتواكلون".

### لا يجب رواياته

كان مورافيا يرى أن معرفة العالم من الضروريات الأساسية، منذ عام 1930، بدأ يطوف ببعض البلدان الأجنبية، لتدبع شهرته في جميع الأوساط منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها. وفي عام 1944 كتب روايته

"أوجستينو" التي علق عليها الشاعر أمبرتو سامبا في عام 1945 بقوله "هو كتاب شرير، لا يجب أن يكتب، فهو يشوه الصب للانسف"، وذلك لأن مورافيا ليس مجرد كاتب موهوب بل عبقري ينسك، وهذا الشك هو الذي ولد شخصية "أوجستينو". وقد شرع النقاد أقلامهم لتوجيه اللوم والانتقاد لمورافيا بسبب أسلوبه



## النقطة وتمثلاتها المعرفية

متتالية لهذا السبب أو ذلك، ومثل هذه النقطة يواجهها الكتاب في حالات كثيرة أثناء الكتابة في حالات التجلي الأخيرة.

الجماليون بشكل عام يفسرون النقطة ببؤرة الخلق والإبداع؛ فكل شيء يبدأ بنقطة/فكرة/وينتهي بها ومنها، فالشجرة نقطة خضراء تنشع في الحدائق والغابات والبساتين. والماء نقطة لا لون لها لكنها تتلون في الكتابة. والعصفورة نقطة طائرة تتحرك بشكل عشوائي. والفرشات أكثر النقاط تلوننا وبهاء بين الورد.

والحرف هو النقطة الأثيرة بين السطور. والنور نقطة تقتل الظلام. والموسيقى نقطة الوعي الصوتي التي تجمل الروح وتمنحها طاقة إيجابية. في حين يرى الفنانون أن النقطة تبدأ من شبح غير مرئي على اللوحة وتتوسع جامعة معها نقاط اللاوعي المسكوت عنها فتنتهي بتوقيع. أما الشعراء فنقاطهم بدأت قديما من زمن وجود "الجن" الذي كان يحرضهم على الكتابة، وحتى وصلوا إلى عصر العولمة و"جن" الإلكترونيات الحديثة الذي فرغ القديم من محتواه إلى حد كبير. على أن يبقى العلماء أكثر الناس إيمانا

بنقطة الكشف والتجديد والأكثر صلة بمنظومة الكون وحدائقه المعرفية. فيما يبقى الكثير من رجال الدين متمسكين بنقاطهم المعروفة من دون أن يغيروا شيئا منها أو يستفيدوا من حلقاها العلم الجبارة واكتشافات الكون الأكثر إثارة وجمالا.

ملقوسية كثيرة واعتبارات دينية وأخلاقية وسلوكية، ف"نقطة الحياة" اعتبارية خالصة تضخ في الفرد الاجتماعي ما يمل عليه أن يمشي على صراط مستقيم ضمن القبيلة والأعراف المتوارثة، حتى لا يصل إلى "النقطة الحرجة" في صراعه مع الحياة، وهي النقطة التي تواجها في يوميات

بتصورات خارقية وتاويلات تقترب من عالم التصوف كثيرا، لكن العلماء أكثر انفتاحا على الشروحات أمام حقائق الكون ومظاهره المختلفة التي تثير الكثير من نقاط التاويل والمعرفة في جماليات المكتشفات العلمية المستمرة؛ فيما يميل الاجتماعيون إلى تفتيت نقاط الحياة إلى مفردات

وبالتالي فإن معيارية النقطة تقع في خط التصور أو الخيال لتخرج من شكلها الصغير جدا إلى فضاءات التاويل والاشتقاقات من دون تعريف لها، من دون حجم أو عرض أو طول أو ارتفاع أو عمق أو زوايا أو مساحة أو أبعاد، لكنها موجودة في الفراغ. تعريف له. لكن هو ما يجسده الخيال الكتابي سردا وشعرا وفنا في هذه "النقطة" الحاسمة التي تتوالد حروفا وكلمات بطريقها التي يبرع فيها المؤلفون وهم ينطلقون من تلك البادية إلى أفق أكثر اتساعا ومدى. ليضعوا "النقاط على الحروف" كما يقال وهي دلالة لبيان الأمر وإيضاحه وتدوينه. والأمر هنا ما يفرغ من النقاط بإشارات سياسية أو اجتماعية أو نفسية لخلق عالم من الخيال والتجريد يوازي العالم الحقيقي إن لم يتفوق عليه. وبالتالي تصبح النقطة قطبا معرفيا جازبا للكتابة الواسعة التي لا تنتهي عند حد معين.

روحانيا يميل المتصوفة إلى جعل النقطة هي بداية نشوء الكون. فالخلق بدأ من نقطة غامضة في العماء. والحياة تنشع بنقاطها الحية الكثيرة. والكون مثير بمجراته وكواكبه ومنظوماته الشمسية التي تعد نقاط أبديّة غير مكتشفة كليا، والخالق هو النقطة السرمديّة التي لا أول لها ولا آخر. أما الفلاسفة فيميلون إلى جعل النقطة مرتكزا للشروع في تفسير المظاهر الكونية والحياتية

سببها المؤلف سعيدا وهو يضع "النقطة" الأخيرة عندما ينتهي من كتابة روايته أو قصيدته أو مسرحيته. بينما لا يضع الفنان التشكيلي النقطة الأخيرة على لوحته، بل يكتب بتوقيعه في نهاية الأمر ليثبت أصالة لوحته بعيدا عن التحريف والتزوير المحتمل. وهكذا يكون "التوقيع" بما يعادل النقطة السردية والشعرية. وعليه، يجب أن ننتبه إلى المفارقة التي كصغر كائن نتعامل معه بشكل يومي حثيث في كتاباتنا المختلفة. مثلما تعامل معه القدامى والمحدثون شرحا وتاويلا وتبسيطا وتعقيدا في الوقت نفسه، ومن ثم تشظيته إلى مستويات فلسفية ونسقية وصوفية وهندسية ورياضية وروحانية وعرفانية وفلكية وعلمية وفنية وثقافية عامة.

سببها شرح النقطة أكثر تعقيدا مما نلظن، فإن كانت النقطة علامة صغيرة توضع فوق الحروف أو تحتها كما هو مألوف، فإن الحالة التعريفية المتنوعة والمتشظية أكبر من هذا بكثير حينما اكتسبت النقطة أبعادا عميقة وتداخلت في مفاهيم متعددة حتى أضحت فلسفتها عميقة جدا. وخرجت من دائرتها الضيقة إلى مفاهيم متنوعة وكثيرة. فيها من الأسرار ما لا يعد ولا يحصى كصغر عنصر في الطبيعة يتركز الكون فيها كما يصفها الفلاسفة.

وارد بحر السالم  
كاتب من العراق

سببها شرح النقطة أكثر تعقيدا مما نلظن، فإن كانت النقطة علامة صغيرة توضع فوق الحروف أو تحتها كما هو مألوف، فإن الحالة التعريفية المتنوعة والمتشظية أكبر من هذا بكثير حينما اكتسبت النقطة أبعادا عميقة وتداخلت في مفاهيم متعددة حتى أضحت فلسفتها عميقة جدا. وخرجت من دائرتها الضيقة إلى مفاهيم متنوعة وكثيرة. فيها من الأسرار ما لا يعد ولا يحصى كصغر عنصر في الطبيعة يتركز الكون فيها كما يصفها الفلاسفة.



النقطة ليست انتهاء (لوحة للفنان وسام شوكت)